

الوجود الهولندي في البحر الأحمر (1602 - 1815م)

أ.مشارك - قسم الجغرافيا والتاريخ-كلية التربية-

د. عادل علي وداعة عثمان

جامعة سنار

المستخلص :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الوجود الهولندي في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي والتي يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى إبان الحروب الصليبية التي اندلعت في منطقة الشرق الأوسط في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، واشترك فيها جنود ورجال دين من هولندا. وبذلك عرفت هولندا طريقها إلى البحر الأحمر واكتشفت أهميته الاستراتيجية وقيمته التجارية، وتزايدت أهمية البحر الأحمر إبان الصراع الدولي الأوربي حوله وذلك في إطار حركة الكشوف الجغرافية، وخاصة البرتغال رائدة حركة الكشوف الجغرافية والتي أولت اهتمامها بسواحل القارة الإفريقية. ويعتبر عام 1498م عاماً حاسماً في تاريخ منطقة القرن الإفريقي وساحل البحر الأحمر باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على يد فاسكو دي جاما، ومن ثم الوصول إلى سواحل البحر الأحمر من الناحية الجنوبية. وبداية السيطرة البرتغالية على مداخل وموانئ البحر الأحمر، وبعدما تحطمت قوة البرتغال وتقلص دورها في إفريقيا بدأت هولندا في ورائتها فانطلقت حملاتها الجادة نحوها، وتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية في عام 1602م والتي على عاتقها اكتمل النفوذ الهولندي على ساحل البحر الأحمر والقرن الإفريقي الذي استمر حتى عام 1738م. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تناولها وإبرازها لأهمية البحر الأحمر كحلقة وصل بين الشرق والغرب، والمميزات الاقتصادية والتجارية والجغرافية له قديماً وحديثاً مما جعله موضعاً للصراع الدولي، ومجالاً حيوياً للهيمنة عليه، واتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي والوصفي لإبراز الحقائق التاريخية والأحداث التي وقعت في تلك الفترة وتوثيقها، ومن أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة هيمنة هولندا على الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر والقرن الإفريقي عبر شركة الهند الشرقية الهولندية تلك الهيمنة التي استمرت حتى عام 1794م وبالتالي أصبحت هولندا هي المتحكمة في طرق الملاحة والتجارة الدولية الرابطة بين غرب أوربا والشرق الأقصى، وتوصي الدراسة بالاهتمام بهذه المنطقة وتسليط الضوء البحثي حولها لأهميتها الاستراتيجية.

Abstract:

This study aims to explore and ensure the Dutch existence in the red sea Area, and in the African Horn in the Middle Centuries during the Crusades which broke up in the Middle East in the eleventh and twelfth centuries. A number of soldiers and religious men from Holland were Participants in those wars. Thus Holland found way to the red sea and discovered its strategic importance and commercial value. The importance of the red sea developed during the international European conflict towards it regarding geographical discoveries, of which Portugal was Particularly the pioneer. Portugal gave priority to the coasts of the African Continent. Year 1498 – AC was crucial in the history of the African Horn according to the discovery of the way to the Cape of good Hope by Vasco De Jama, then the access to the red sea from the southern direction which helped a start of a Portuguese domination over the ports and entries of the red sea. After the damage of the Portuguese power and the decrease of its role in Africa, Holland began to take place, and their actual expedition set out to Africa, and the Dutch Company of Eastern India was established in 1602 AC. This study is significant for that it tackles and highlights the importance of the red sea as a link between the East and the West, and that its economic, commercial and geographical characteristics have made it-in the past and nowadays – a locus of international conflict, and vital target to take hold of it, and to take control of its port. This study adopted a historical descriptive method of research to show out and document the historical facts and the events at that time. The most important findings show that the domination of Holland over the ports at the red sea Coasts and the African Horn was supported through the Dutch Company of Eastern India, and this domination continued until 1794 AC. So, Holland Took control of the ways for navigation and trading which connected Western Europe and the far East. the study recommends throwing light upon this area for more research because of its strategic and commercial importance.

مقدمة :

أطلق الجغرافيون القدامى من إغريق ورومان على البحر الأحمر أسماء عدة، فالمؤرخ الإغريقي اغاثار خيدس أشار إلى أن كلمة ارتريان (ارتريا الحالية) والتي كانت يوماً ما اسماً للبحر الأحمر تعني في اللغة الفارسية بحر الملك الأحمر⁽¹⁾. ومن الأسماء التي أطلقت على البحر الأحمر بحر القلزم نسبة لمدينة القلزم المصرية، وبحر القرما وهي ميناء مصري قديم يقع على الطرف الشمالي للبحر الأحمر، وسماه ابن جبر بالبحر الفرعوني، وعرف أيضاً عند بعض الجغرافيين ببحر عيذاب، وبحر الحجاز، وبحر إيلة، والملاحظ أن هذه الأسماء اعتمدت على المدن الساحلية التي تطل على البحر الأحمر، وأما تسميته بالبحر الأحمر نسبة لوجود نسبة كبيرة من الطحالب التي يميل لونها إلى الأحمر نتيجة لعملية التمثيل الضوئي النشطة بفضل المادة المكونة لأنسجتها وهذه الطحالب عادة تكون قريبة من سطح البحر فينعكس لونها على مياهه⁽²⁾. ويمتد البحر الأحمر طويلاً ما بين السويس الواقعة في أقصى شماله، وباب المندب الواقع في أقصى جنوبه، وكلتاهما تمثلان خانقاً قابضاً يحصر مياه البحر الأحمر طبيعياً ويحاصره جغرافياً ويتحكم فيه وبالتالي يحوله إلى بحيرة مستطيلة مغلقة، وبهذا الموقع الجغرافي المحكم يتصل البحر الأحمر من ناحية الشمال بخليج السويس وخليج العقبة، كما يتصل من ناحية الجنوب بخليج عدن والمحيط الهندي ويضم على سواحله ثمانين دول أربع في الساحل الإفريقي من الشمال إلى الجنوب مصر والسودان وارتريا وجيبوتي وأربع على الساحل الآسيوي فلسطين والأردن والمملكة العربية السعودية واليمن⁽³⁾. ويقول الجيولوجيون عن طبيعة تكوين البحر الأحمر إنها جاءت نتيجة لانفصال شبه الجزيرة العربية عن القارة الإفريقية في الحقبة الايوسينية، ومن خلال عمليات جيولوجية بدأت منذ حوالي عشرين مليون سنة، ونتج عنها نظام من التصدعات الهائلة في القشرة الأرضية. ويعد البحر الأحمر بما في ذلك خليج عدن وخليج العقبة جزءاً من هذا النظام الواسع، فيما يعد البحر الأحمر استمراراً للأخدود الجيولوجي العظيم والذي يمتد شمالاً وجنوباً على طول وادي الأردن والبحر الميت ثم وادي عربة إلى خليج العقبة عند رأس البحر الأحمر ليتصل الشق السوري - الفلسطيني بالصدع الارتري المتسع والذي يضم خليج السويس الضحل ثم البحر الأحمر العميق،

إلى أن يصل إلى باب المندب ليتصل بأخاديد شرق إفريقيا، وتبلغ مساحة البحر الأحمر حوالي مائة وثمانية وسبعين ألف ميل مربع، ويمتد بين خطي عرض 12° إلى 36° شمال خط الاستواء، ويبلغ طول البحر الأحمر من باب المندب جنوباً إلى خليج السويس شمالاً حوالي ألف وثلاثمائة وثمانين ميلاً، ويختلف عرض البحر الأحمر من منطقة لأخرى لكن متوسطه يبلغ حوالي مائة وسبعين ميلاً⁽⁴⁾. وقد بدأ أدرك البشر الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، والمميزات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية له، فمنذ أربعة آلاف سنة تقريباً وربما خلال الألف الثانية قبل الميلاد اكتشف الفراعنة هذه الأهمية عبر أسطول الملكة حتشبسوت والذي كانت وجهته بلاد بونت (الصومال)، كما كان للفينيقيين في عصور ما قبل التاريخ رحلاتهم البحرية لاكتشاف الشواطئ الإفريقية، ومن خلال هذه المحاولات الفرعونية والفينيقية لتحديد مسالك الملاحة البحرية في البحر الأحمر كان الهدف الاقتصادي والسياسي ماثلاً ومحدداً في عقول أولئك الذين قاموا بهذه المحاولات في بحار مظلمة ومجهولة⁽⁵⁾. ويذكر أيضاً أن الأهمية التجارية للبحر الأحمر كانت واضحة وبينت فقد كانت وظيفته الأولى خدمة تجارة المنطقة التي تحيط به إذ كان عدد سكان العالم محدوداً، وكانت احتياجاتهم محدودة أيضاً، فقد أبحر الفراعنة في مياه البحر الأحمر قاصدين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد بونت باحثين عن البخور والتوابل، ويقال أن أولى الحملات العسكرية التي قام بها الفراعنة تمت بين عامي 1980 ق.م و 1935 ق.م⁽⁶⁾ ومع تطور الأحداث التاريخية وتسارعها ظهرت في الأفق قوى سياسية جديدة وقتئذ باحثة عن السيطرة والنفوذ على المناطق الاستراتيجية في العالم، كانت هذه القوى السياسية الجديدة هي الامبراطوريات الأوربية الناشئة المتطلعة إلى بسط نفوذها وسيادتها على الطرق التجارية، وتعتبر تلك الفترة فترة حاسمة في تاريخ الشعوب المطلة على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي فقد كانت لرحلة بارثلميو دياز * في عام 1487م أثرها الفعال في تمهيد الطريق أمام البرتغاليين للانطلاق نحو الشرق، وعلى الرغم من وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي وسواحل شرق إفريقيا، فإنهم ظلوا ينهلون من ثقافة المسلمين الملاحية، وخير دليل على ذلك تلك الخريطة التي أرسلها فاسكو دي جاما في عام 1512م وهي لملاح من الشرق موضحاً عليها رأس الرجاء الصالح والبحر الأحمر والمسالك الملاحية إلى الصين وجزر فور موزا⁽⁷⁾. وباكتشاف طريق رأس

الرجاء الصالح كرابط بين الشرق والغرب وحرص البرتغاليين على حرمان المسلمين من مزاياه الاقتصادية سهل عليهم بسط نفوذهم على المسلمين.

الجدور التاريخية للوجود الأوربي في شرق إفريقيا وساحل البحر الأحمر:

افتتح البرتغاليون الاستعمار الأوربي الحديث للقارة الإفريقية باحتلالهم قلعة سبته في المغرب عام 1415م ولقد سبق البرتغاليون غيرهم من الدول الأوربية لعدة أسباب منها أن البرتغال استكملت وحدتها واستقلالها في القرن الثالث عشر الميلادي بالإضافة إلى طغيان الحماس الديني للقضاء على المسلمين في الغرب، واهتمام ملك البرتغال يوحنا بهذه العملية، وساعدت العوامل الجغرافية كقرب البرتغال للساحل الإفريقي على هذه النزعة التوسعية، وقد أدركت البرتغال أن الدويلات الإسلامية في شرق إفريقيا تعتمد على تجارة التوابل في اقتصادها فزاد حماسها لاحتكار تلك التجارة في الساحل الإفريقي، ويقضون بذلك على الأرباح الكبيرة التي كانت تحصل عليها الدويلات الإسلامية⁽⁸⁾.

وحاول البرتغاليون الابتعاد عن ساحل شبه الجزيرة العربية ومنافذ البحر الأحمر، وكانت سفنهم تحرص على الابتعاد عن تلك السواحل قدر الإمكان، ولعل البرتغاليين قد وجدوا أن السيطرة على مياه المحيط الهندي كفيلاً في تحقيق أهدافهم وإخفاء نواياهم الحقيقية، ولم يرغب البرتغاليون في إظهار نواياهم الاستعمارية تجاه المسلمين فلم يتعرضوا لسفنهم المحملة بالبضائع أثناء رحلاتها التجارية بين الهند ومصر، وركز البرتغاليون في تلك الفترة على زيادة أسطولهم وانتشاره في مياه المحيط الهندي لدعم سيادتهم في شرق إفريقيا أملاً في احتلال بعض المواقع الاستراتيجية لسد منافذ البحر الأحمر⁽⁹⁾.

بارثليميودياز: ملاح برتغالي ولد في عام 1450م، قام في سنة 1486م برحلة على امتداد ساحل إفريقيا الغربي ثم هبت عاصفة أبعدت سفنه عن الساحل فاكتشف رأس العواصف والذي أطلق عليه رأس الرجاء الصالح - توفي في مايو 1500م. ومع بداية السيطرة البرتغالية على المحيط الهندي وداخل الخليج والبحر الأحمر كان الخطر على الأماكن المقدسة قد أصبح واضحاً للجميع، ويظهر ذلك من خلال رسالة ملك البرتغال عمانويل في عام 1555م للبابا بوليس الثاني حينما طلب منه البابا إيقاف الحملات العسكرية حتى تتحسن علاقات دول البحر الأبيض المتوسط مع دولة المماليك في مصر، فكان

رد الملك عمانوئيل أنه ليس عازماً على المضي في قفل التجارة المملوكية فقط بل أنه سيجاهد في سبيل نشر المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده⁽¹⁰⁾.

وتصدى العرب والإفريقيون للاستعمار البرتغالي في سواحل شرق إفريقيا ووجدوا المساندة والعون من سلطان عمان حيث تم وضع الأساس لحكم عربي امتد على جزء كبير من شرق إفريقيا، وقد تحرر العمانيون من السيطرة البرتغالية في الخليج العربي منذ عام 1650م وتم طرد البرتغاليين نهائياً من مسقط في عام 1658م، وقد شجع ذلك الانتصار سكان ساحل شرق إفريقيا على أن يطلبوا مساعدة العرب، وحاول البرتغاليون منع أي اتصال بينهم وبين سكان شرق إفريقيا ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وأخذ التغلغل العماني في تزايد ووضع نهاية كاملة على التفوق البرتغالي في ساحل شرق إفريقيا والبحر الأحمر⁽¹¹⁾.

انطلاق هولندا للسيطرة على شرق إفريقيا والبحر الأحمر :

وبعدما تحطمت قوة البرتغال على أيدي أسبانيا، بدأت هولندا في الانقضاض على أملاك البرتغال في أنحاء العالم حتى تقلصت أملاكها ففي إفريقيا انحسر دورها في ساحل الذهب وجزيرة موريشيوس⁽¹²⁾. وتعد هولندا من الدول البحرية المهمة في القارة الأوروبية فهي تقع في نهاية الشريان الملاحي المهم الذي يمثله نهر الراين، وأدت موانئها (امستردام ونتردام) دورها في النشاط البحري لكن الهولنديين تأخروا في ميدان التجارة الشرقية عن طريق رأس الرجاء الصالح لأن هولندا كانت تابعة للتاج الأسباني وأخذ الهولنديون يحصلون على احتياجاتهم من السلع الشرقية من الأسواق البرتغالية ففي عام 1594م تمرد الهولنديون على الأسبان وأعلنوا استقلالهم وقامت أسبانيا بإغلاق الأسواق البرتغالية في وجه الهولنديين الأمر الذي دفعهم إلى الاتجاه نحو الشرق عبر رأس الرجاء الصالح، وأسست شركة للتجارة مع الشرق هي شركة فانفير التي أرسلت أول رحلة لها بقيادة هوتمان في عام 1595م. إن النشاط الاقتصادي للشعوب الأوروبية والاسكندنافية شكل محور علاقاتهم الخارجية وكانت الملاحة والتجارة يؤلفان نشاطاً اقتصادياً أساسياً مهماً، فكان الملاحون يطوفون بسفنهم حول العالم وعلى هذا النحو تشكلت العلاقات الخارجية للشعوب الاسكندنافية مع الشرق البيزنطي والإسلامي الذي تصعد منتجاته مع نهر

الفولجا والدينير وبلغ شواطئ الباليك، ويتميز تاريخ الشعوب الاسكندنافية بكثرة حملاتها البحرية فقد كانت الملاحة والتجارة الخارجية تشكلان نشاطاً اقتصادياً لسكان الشواطئ في اسكندنافية وكانت للحروب الدينية التي حدثت في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي خيراً على هولندا حيث كانت خاضعة للسيطرة الأسبانية، ولكن بعد انتهاء حرب الثلاثين عاماً 1618م إلى 1648م. وهي حرب أهلية لكنها اتسعت لتشمل عدداً من دول أوروبا مثل الدنمارك والسويد وفرنسا إلى جانب ألمانيا التي كانت مسرحاً للعمليات واتخذت هذه الحرب الطابع الديني ولكن سرعان ما اتضحت الأهداف السياسية لكل دولة، وإسبرام صلح وستفاليا عام 1648م، حرب الثلاثين: هي حرب قامت في الفترة 1618-1648م وحدثت وقائعها في أرض ألمانيا واشتركت في هذه الحرب معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذلك العصر، واندلعت الحرب بسبب ديني بين الكاثوليك والبروتستانت ولكن التنافس السياسي زاد من أوارها. وقد صاحبت هذه الحرب أوبئة ومجاعات كانت نتائجها مدمرة ومهلكة. صلح وستفاليا: معاهدة أبرمت في شمال ألمانيا في 30 يناير 1648م أنهت حرب الثلاثين عاماً ووقعها مندوبون عن الامبراطورية الرومانية وفرنسا والسويد والإمارات البروتستانتية التابعة للامبراطورية الرومانية .

حصلت هولندا على استقلالها واتجهت نحو تجارة التوابل مع الشرق الأقصى وبدأت التجارة تتحول إلى هولندا بعدما كانت في لشبونة، ويقول بعض المؤرخين أن القرن السابع عشر الميلادي هو قرن هولندا الاستعماري لأن هولندا بعد أن كانت خاضعة لأسبانيا وبلجيكا هب الشعب الهولندي واستطاع الحصول على الاستقلال وبداية صفحة استعمارية في عام 1595م ونجح الهولنديون في أخذ مواقع لهم على الساحل الإفريقي ومن ثم الوصول إلى سواحل الهند الشرقية، وتأسس عدد من الشركات الهولندية هناك وتأسست شركة الهند الشرقية في عام 1602م وكان تأسيسها بداية لبسط النفوذ الهولندي على مناطق كثيرة فيما وراء البحار ومنحت الحكومة الهولندية الشركة امتيازات كبيرة فيما يتعلق بالملاحة والتجارة في المحيط الهندي وساحل البحر الأحمر واخذت الشركة بتسيير سفنها إلى جنوب شرقي آسيا عبر طريق رأس الرجاء الصالح، وفي عام 1648م غرقت إحدى سفن الشركة في خليج تبيل قرب مدينة الكيب فأقام بحارتها في المنطقة أكثر من عام، وعندما عاد هؤلاء التجار إلى

هولندا صوروا ذلك الموقع وظروف الحياة فيه تصويراً بلغ حماسه أن قررت الشركة أن تقيم فيه موقعاً دائماً فأرسلت بعثة من ثلاثة سفن بقيادة فان ريبك بإنشاء محطة لتمويل السفن وكانت هذه البداية للاستعمار الهولندي لجنوب إفريقيا والذي استمر ما يقارب المائة وخمسين عاماً⁽¹⁷⁾.

وحلت هولندا محل الدول الأوروبية الكبرى في التجارة الشرقية، وخاصة في السواحل الإفريقية والشرق الأقصى، وبحلول منتصف القرن السابع عشر الميلادي كانت هولندا هي الدولة الأوروبية المستفيدة من المستعمرات الأسبانية والتجارة البرتغالية، ولهذا كانت أغنى دولة في أوربا في عهد الإمبراطور شارل الخامس، ولما شنت هولندا الحرب على فيلب الثاني وأحفاده كانت النتيجة هي المنتصرة، ومنذ عام 1593م بدأت هولندا بتجارة الرقيق في ساحل غينيا في إفريقيا الغربية. وفي عام 1595م بدأت أول حملة هولندية إلى الهند وجزر الهند الشرقية، وبعده تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية، وتمكنت من طرد البرتغاليين من جزر سيلان وجاوا وسومطرة وملاقا وبالانتصار الذي أحرزه الأسطول الهولندي أمام الأسطول البرتغالي الأسباني في عام 1606م، وانهزام أسبانيا في جبل طارق أمام الأسطول الهولندي في عام 1607م، كان له الأثر الكبير في سيطرة هولندا على البحار والطرق التجارية⁽¹⁸⁾.

والواقع أن العلاقات بين هولندا وبلاد الشرق ترجع جذورها التاريخية إلى القرون الوسطى، فقد قام الحجاج منذ تلك الفترة بالسفر إلى فلسطين، وقد اشترك في الحروب الصليبية فرسان هولنديون جنود ورجال دين وبذلك عرفت هولندا طريقها إلى ذلك الجزء من العالم العربي عبر الأحمر⁽¹⁹⁾. وفي خلال العصور الوسطى تعرض الشرق الإسلامي لأخطار خارجية ففي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، اجتاح الصليبيون الوطن العربي وهاجموا خطوط التجارة العربية وقوافل الحجيج إلى الأرض المقدسة، وتمركز أسطولهم في البحر الأحمر وهاجموا الشعوب الواقعة على شاطئيه، ثم نقلوا خطوط التجارة الشمالية إلى جنوب البحر الأحمر حيث كانت هجماتهم ضد العرب منطلقة من دوافع سياسية وأهداف اقتصادية أكثر من كونها دينية، ومن هنا كانت رغبة الصليبيين في احتلال مصر حتى يتسنى لهم السيطرة على البحر الأحمر ومنافذه⁽²⁰⁾.

شركة الهند الشرقية الهولندية: هي شركة هولندية تأسست على غرار شركة الهند البريطانية في عام 1602م فقد اجتمع كبار التجار الهولنديين بامستردام في عام 1592م وقرروا ضرورة إنشاء شركة للتجارة مع الهند ومنذ ذلك الحين أخذت هولندا تتطلع إلى الشرق، وفي 20 مارس 1602م صدر مرسوم من الحكومة الهولندية بتأسيس الشركة والتي بمقتضاه كان للشركة حق عقد

المعاهدات مع حكام الشرق واحتكار التجارة وبناء القلاع وتعيين الحكام في المواقع التابعة لها باسم الحكومة الهولندية. وعلى عاتق الشركة تم التوسع الاستعماري الهولندي. ويعود تاريخ أولى البعثات الهولندية التجارية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية إلى عام 1614م عندما توجه بيتر فان دن بروكة وهو أحد أهم رجال الشركة الهندية الهولندية في آسيا مع عدد قليل من السفن للاطلاع على الأوضاع في كل من شمال غرب الهند وجنوب شبه الجزيرة العربية، ومنع من القيام بأي عمل تجاري في كل من عدن وباب المندب خوفاً من الاصطدام مع السلطات التركية التي لم تكن ترغب في السماح بدخول الهولنديين في الصراع حول مداخل البحر الأحمر⁽²¹⁾. وكانت اليمن تشكل بعداً استراتيجياً مهماً في المنطقة، وتعتبر مفتاح البحر الأحمر وكانت السيطرة العثمانية عليها في بداية الأمر ضعيفة بسبب الصراعات الداخلية إلى جانب نفوذ الإمامة الزيدية بين قبائل الجبال، فضلاً عن الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل اليمنية مما دفع السلطان العثماني إلى إرسال قوة بحرية إلا أنها فشلت في المهمة، ثم أرسل السلطان العثماني قوة أخرى كان هدفها احتلال اليمن وبخاصة عدن ثم إغلاق مضيق باب المندب أمام السفن البرتغالية، ودخل العثمانيون عدن، وظلت اليمن في فترة خضوعها للحكم العثماني 1538-1635م تتنازعها قوى العثمانيين والائمة الزيدية، واستفاد العثمانيون من وجودهم في اليمن فقاموا بحملات بحرية لتخفيف الضغط البرتغالي والهولندي على المنطقة⁽²²⁾. وعلى الرغم من ذلك استمرت محاولات الهولنديين ولدة طويلة من أجل الوصول إلى حالة من التبادل التجاري مع جنوب شبه الجزيرة العربية، ولكن دون نجاح يذكر، فحاول الهولنديون في بداية الامر تصدير المنتجات الاسيوية إلى اليمن ولكنهم وجدوا منافسة عنيفة من مسلمي غرب الهند، وحاول الهولنديون الابقاء على مركزهم التجاري في اليمن ولكنهم اضطروا في عام 1739م إلى إلغائه نهائياً ومع ذلك استمر ارسال السفن إلى الموانئ اليمنية المطلة على البحر الأحمر على مدى عشرين سنة أخرى. ولم يجذب الجزء المتبقي من الشاطئ العربي للبحر الأحمر إلا اهتماماً هولندياً ضعيفاً، فقد منع العثمانيون الأتراك أي قوة من الابحار في البحر الأحمر، وابدأ الهولنديون في بعض الاوقات اهتمامات من أجل المنتجات القادمة من شرق آسيا كانت تصدر إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط عبر

موانئ جدة والسويس، وفي سنة 1665م كان القنصل الهولندي في مصر قد بدأ بممارسة التجارة عبر البحر الأحمر ولكنها انتهت إلى إفلاس، وفي سنة 1729م وجه حاكم جدة دعوة إلى الهولنديين من أجل إرسال سفنهم إلى جدة، فأرسلت شركة الهند الشرقية الهولندية بعثتين تجاريتين إلى جدة في عامي 1752-1551م ولكن البعثتين لم تصلا إلى نتائج تذكر فقد اكتشف قادة البعثات أن سفن القطاع الخاص الهولندي قد سبقتهم إلى البحر الأحمر⁽²³⁾.

لقد كانت التجارة هي سبب ثروة مدن إفريقيا وأساس التطور الاجتماعي والثقافي للمجتمع الساحلي، وأتاحت التجارة بحكم طبيعتها الاتصال بحضارات مختلفة وجعل المنطقة موضعاً للصراع الدولي بين القوى العربية والفارسية والأوربية للظفر بالطرق التجارية والسيطرة عليها، كان التطور الاجتماعي والاقتصادي لمنطقة القرن الإفريقي معتمداً على ثرواته وأهميته الاستراتيجية، وظلت المنافسة حادة بين القوى العالمية الأوربية للظفر به⁽²⁴⁾. وفي عام 1660م وجه الهولنديون أولى حملاتهم الاستكشافية إلى المناطق الشمالية من إفريقيا تمهيداً إلى الوصول إلى جنوب إفريقيا ومن ثم التوجه إلى شرقها والسيطرة التامة على المعابر البحرية والطرق التجارية المؤدية إلى الشرق الأقصى، وبالفعل تمكن الهولنديون عام 1685م من الوصول إلى مناجم النحاس في إفريقيا والسيطرة على إقليم ناتال وخليج ديلا جور وفي عام 1736م نجحت هولندا في التغلغل وسط قبائل البانتو في جنوب إفريقيا، وتواصلت الهجمات الهولندية في المنطقة وترتب عليها السيطرة على نهر الاورنج والاراضي الواقعة حوله⁽²⁵⁾.

غير إن اندلاع الحرب الهولندية الفرنسية في عام 1672م قد أثر بطبيعة الحال على مجريات حركة الاستكشافات الهولندية في شرق إفريقيا، فقد اعتقد لويس الرابع عشر ملك فرنسا أن هولندا قد لعبت دوراً كبيراً في قيام الحلف الثلاثي الأوربي المناوئ لفرنسا، ولهذا قرر تأديب هولندا، وشجعه على ذلك أن هولندا كانت تعمل على الكيد لفرنسا بإيوائها المضطهدين الفرنسيين وبعث الدعاية التي تسيء إلى النظام الملكي، إضافة إلى أن هولندا كانت قوة بحرية تجارية لا يستهان بها، وهدفت فرنسا إلى تحطيم هذه القوة تمهيداً لوراثةا ولم يكن سبب قوة هولندا البحرية القوة العسكرية فحسب ولكن لعدم وجود من يقف امامها من الدول الاوربية الكبرى. فقد كانت إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وغيرها من الدول الأوربية في حروب قارية متتالية. في الوقت

الذي كانت فيه هولندا تدعم استقلالها ووحدتها والانطلاق خارج أوروبا وبناء المستعمرات ، ولكل هذا فكر لويس الرابع عشر في الدخول في مباحثات مع ملك إنجلترا شارل الثاني وعقد معه معاهدة دوفر السرية عام 1670م التي تم فيها الاتفاق على أن تقدم فرنسا الأموال والدعم اللازم لإنجلترا لجعلها كاثوليكية، ومن الجانب الآخر تعهدت إنجلترا بعدم مساعدة هولندا ، ولكل هذا كان على هولندا مواجهة الخطر الفرنسي وحيدة دون قوة مساعدة لها، فانتشرت القوات الفرنسية في الأراضي الهولندية حتى اوشكت على الدخول إلى أمستردام إلا أن الشعب الهولندي قتل مستشاره جون دكاويت وخلفه وليم أورانج الذي استطاع استقطاب الدعم لبلاده وكون تحالف لاهاي الذي ضم الدنمارك واسبانيا مما أجبر فرنسا على عقد صلح مع هولندا عام 1678م وانتهاء الحرب الفرنسية الهولندية⁽²⁶⁾.

واصلت هولندا توسعها الاستعماري في شرق إفريقيا وتمكنت من الاستيلاء على جزيرة مورتيوس وزعزت نفوذ البرتغاليين في شرق القارة الإفريقية. وفي الوقت نفسه سعى الهولنديون لتقوية حصونهم في منطقة الكيب لمواجهة هجمات القبائل الإفريقية والمنافسة الاستعمارية من قبل الدول الأوربية الأخرى التي أخذت تظهر في الميدان ونجحت شركة الهند الشرقية الهولندية في تشجيع جماعات من الهولنديين للهجرة إلى منطقة الكيب، واستقرت هذه الجماعات في المناطق الزراعية في الشمال والشرق وأطلق على هؤلاء الزراع اسم البوير، وشجعوا الآسيويين على الهجرة إلى الكيب فتوسع النشاط الهولندي وأصبحت الشركة تدير هذه المنطقة عن طريق مجلس إدارتها في أمستردام ونجحت في السيطرة على المنافذ التجارية في المحيط الهندي والبحر الأحمر⁽²⁷⁾. واستمرت السيطرة الهولندية على السواحل الإفريقية والمعابر التجارية في شرق إفريقيا حتى غزو فرنسا لهولندا عام 1794م وهروب المستشار الهولندي وليم أورانج إلى إنجلترا ليشكل حكومة هولندية في المنفى، فاتفقت إنجلترا مع وليم أورانج على أن يحتل الأسطول الانجليزي منطقة الكيب ليحول دون سيطرة فرنسا على هذه المنطقة. واستمر هذا الاحتلال حتى عام 1802م وطبقاً لصلح اميان بين إنجلترا وفرنسا أعادت بريطانيا منطقة الكيب لهولندا. وفي عام 1803م استأنفت بريطانيا الحرب ضد فرنسا. وتوالت الأحداث حتى مؤتمر فيينا في عام 1815م والذي أقر ضم مستعمرة الكيب لإنجلترا⁽²⁸⁾. وتميز الاستعمار الهولندي بسياسة الاستغلال الاقتصادي لأهالي المستعمرات بعد أن وجدها أربح له من التجارة المباشرة حيث تقلل لهم الإنفاق المالي، وتصدت شركة الهند الشرقية الهولندية لهذه المهمة فقامت بدفع

أثمان المحاصيل والبضائع التجارية مقدماً ولسنوات لضمان الاحتكار، وفي القرن الثامن عشر الميلادي رأت الإدارة الخاصة بالشركة الاستعمارية الهولندية أن السيطرة المباشرة على الأراضي في المستعمرات الهولندية عن طريق نقل الملكية إلى تجار هولنديين أجدى من السيطرة المباشرة ومن ثم بدأ الهولنديون في نقل ملكية المناطق الاستراتيجية إلى هولندا ومن ذلك فقد تم نقل ملكية الجزر والطرق الاستراتيجية التي تربط شرق إفريقيا بالشرق الأقصى إلى تجار هولنديين وأصبح التجار هم من يحتكرون ويتحكمون في هذه الطرق والمناطق وفقاً لخطة الحكومة الهولندية⁽²⁹⁾.

نهاية الوجود الهولندي :-

وبعد تفاقم الأوضاع في أوروبا واندلاع الحروب بين دولها، وتزايد حدة الصراع الدولي حول المستعمرات وهيمنة فرنسا على مجمل الأوضاع الأوروبية في عهد نابليون بونابرت ولمعالجة كل هذه الأوضاع توافقت الدول الأوروبية على عقد مؤتمر عام للصلح في مدينة فيينا بالنمسا لحل مشاكل القارة الأوروبية وانعقد هذا المؤتمر في عام 1815م بحضور مائة وأربعين وفداً، وتمخض عن هذا المؤتمر أن أجبرت فرنسا إلى العودة إلى حدودها قبل الثورة الفرنسية التي اندلعت عام 1789م، ودمجت بلجيكا وهولندا في دولة واحدة واعطى عرشها إلى آل أورانج. وحصلت إنجلترا على مقاطعات جديدة لم تكن تابعة لها من قبل، وهكذا نجد أن زعماء أوروبا رسموا خريطة جديدة لأوروبا توخوا فيها العودة إلى الشرعية التقليدية القديمة، والمحافظة على التوازن بين الدول الأوروبية حتى يتبدد اندلاع الحرب مرة أخرى⁽³⁰⁾. وصفوة القول عن الاستعمار الهولندي فإن منشأ هذه الحركة الاستعمارية هو تدمير التجار الهولنديين من احتكار تجارة البرتغاليين للتوابل. وبعد أن تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية في عام 1602م والتي حصلت على امتياز احتكار التجارة وعزو الأراضي وعقد المعاهدات وبناء الحصون بدأت هذه الشركة في دخول الهولنديين إلى المستعمرات، وبعدما توالى المحطات التجارية البرتغالية في السقوط وانتقلت تجارة الهند الشرقية إلى هولندا انتقلاً تاماً. وقامت الشركة بعملية مسح دقيقة لساحل البحر الأحمر ورسم خرائط جغرافية للمنطقة، فعن طرق القوة البحرية ظهرت هولندا قوة عظمى في أواخر القرن السادس عشر الميلادي وهيمنت على التجارة العالمية

في منتصف القرن السابع عشر، ولكن فقدت هولندا الكثير من حيازتها الاستعمارية فضلاً عن حالتها كقوة عالمية لصالح بريطانيا عند سقوطها على أيدي الجيوش الفرنسية في عام 1794م⁽³¹⁾.

خاتمة :-

كانت التجارة والسيطرة على الطرق المؤدية إلى مناطقها هي الهدف الذي بنت عليه هولندا استراتيجيتها التوسعية في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، وتولت شركة الهند الشرقية الهولندية والتي تأسست في عام 1602م هذه المهمة العسيرة، وعن طريق القوة البحرية الضاربة والسطوة التجارية ظهرت هولندا كدولة عظمى منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وهيمنت على حركة التجارة العالمية، فضلاً عن تحكمها في الطرق التجارية، فعن طريق الاستغلال والاحتكار نجحت هولندا في بسط نفوذها الاقتصادي على ساحل البحر الأحمر والقرن الإفريقي حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

النتائج والتوصيات:

أ/ النتائج:

1. للبحر الأحمر أهمية استراتيجية على مر العصور التاريخية منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى عصرنا الحاضر.
2. تعود معرفة هولندا بسواحل البحر الأحمر إلى القرون الوسطى إبان الحروب الصليبية بمشاركة فرسان هولنديين فيها.
3. اندلاع المنافسة والصراع الدولي حول البحر الأحمر بسبب أهميته السياسية والجغرافية والاقتصادية والتجارية.
4. بدأ بسط النفوذ الهولندي على شرق إفريقيا وسواحل البحر الأحمر على شركة الهند الشرقية والتي تأسست في عام 1602م.
5. تميز الاستعمار الهولندي في شرق إفريقيا بالاستغلال الاقتصادي والاحتكار لحركة التجارة الدولية.

ب/ التوصيات:

توصى الدراسة بتسليط البحث العلمي حول البحر الأحمر لأهميته السياسية والاقتصادية والاستراتيجية.

المصادر والمراجع:

- (1) **عبدالله عبدالمحسن السلطان:** البحر الأحمر والصراع العربي الاسرائيلي، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، يونيو 1988م، ص 25.
- (2) **السيد عبدالعزيز سالم:** البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م، ص 3.
- (3) **صلاح الدين حافظ:** صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، يناير 1982م ص 56.
- (4) **عبدالله عبدالمحسن السلطان:** مرجع سبق ذكره، ص ص 26، 27.
- (5) **صلاح الدين حافظ:** مرجع سبق ذكره ص 39.
- (6) **عبدالله عبدالمحسن السلطان،** مرجع سبق ذكره ص 39.
- (7) **غسان علي محمد الرحال:** صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر (خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، 1401هـ، 1981م ص 64.
- (8) **محمد عارف الكيالي:** الاسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي، الجزء الأول رأس الخيمة الامارات العربية المتحدة ص 108.
- (9) **محمد عبدالعال أحمد:** البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م ص 76.
- (10) **غسان علي محمد الرحال:** مرجع سبق ذكره ، ص 105.
- (11) **عبدالفتاح مقلد الغنيمي:** الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة، 2007م ص 188.
- (12) **عبدالعزیز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين:** التاريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى)، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، 1419 هـ / 1999م ص 71.
- (13) **جعفر عباس حميدي:** تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الطبعة الاولى، دار الفكر للطباعة والنشر، التوزيع عمان 1422هـ / 2002م، ص 77.
- (14) **نور الدين حاطوم:** تاريخ العصر الوسيط في أوربا، الجزء الأول، دار الفكر دمشق 1402هـ / 1982م، ص 386.
- (15) **عبدالعزیز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين:** مرجع سبق ذكره ص 71.
- (16) **شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق ابراهيم:** تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة، 2004م، ص 29.
- (17) **جعفر عباس حميدي:** مرجع سبق ذكره، ص 77.

- (18) محمد محمد صالح: تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500-1789م، الطبعة الثانية، دار المجلة أبوظبي، 2005م، ص428.
- (19) نيقولا فان دام وآخرون: هولندا والعالم العربي (منذ القرون الوسطى وحتى القرن العشرين)، هولندا، 1987م ص49.
- (20) عبدالله عبد المحسن السلطان : مرجع سبق ذكره ص48.
- (21) عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: مرجع سبق ذكره ص30.
- (22) علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، شركة الأمل للتجهيزات الفنية ، 1421هـ / 2001م ، ص192.
- (23) عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، مرجع سبق ذكره ص32.
- (24) ف - ماتفيف: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، اليونسكو 1988م، ص466.
- (25) فرغلي علي هريدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر (الكشوف - الاستعمار - الاستقلال)، الطبعة الأولى ، مطبعة الجلال الاسكندرية، 2008م ص71.
- (26) عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: مرجع سبق ذكره ص ص 177-178.
- (27) جعفر عباس حميدي: مرجع سبق ذكره ص78.
- (28) شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق إبراهيم: مرجع سبق ذكره ص30.
- (29) 29 / عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، مرجع سبق ذكره ص73.
- (30) عبد العزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعيمى: التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1973م ، ص144.
- (31) المرجع نفسه ، ص 32.

المصادر والمراجع:

- (1) السيد عبدالعزيز سالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م.
- (2) جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (عمان)، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م.
- (3) شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق ابراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة، 2004م.
- (4) صلاح الدين حافظ: صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، عالم المعرفة الطبعة الأولى، يناير 1982م.
- (5) عبدالعزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى)، دار الفكر العربي الطبعة الأولى 1419هـ/1999م.
- (6) عبدالفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الثانية 2007م.
- (7) عبدالله عبدالمحسن السلطان: البحر الأحمر والصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة 1988م.
- (8) علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، شركة الامل للتجهيزات الفنية، الطبعة الاولى 1421هـ/2001م.
- (9) 9 / ف - ماتفيف: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع اليونسكو 1988م.
- (10) فرغلي علي هريدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف - الاستعمار - الاستقلال)، مطبعة الجلال الاسكندرية ، الطبعة الأولى 2008م
- (11) محمد عارف الكيالي: الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي الجزء الأول، رأس الخيمة الامارات العربية المتحدة 1401هـ/1981م.
- (12) محمد عبدالعال أحمد: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتب 1980م.
- (13) محمد محمد صالح: تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500-1789م، دار المحجة أبوظبي، الطبعة الثانية 2005م.
- (14) نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكر دمشق، الجزء الأول 1402هـ/1982م.
- (15) نيقولا فان دام وآخرون: هولندا والعالم العربي (منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين)، 1987م.

رسائل جامعية :

(1) غسان علي محمد الرحال: صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر (خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)، رسالة ماجستير غي منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي 401هـ /1981م .